

- ٢ -

هجرة النبي عليه الصلاة والسلام
وزواجه من عائشة

obeikandi.com

عرف النبي ﷺ الحياة الزوجية
المستقرة مع السيدة خديجة فلم
يتزوج غيرها فى حياتها.

وفرت له هذه السيدة الفاضلة
الحياة الآمنة المستقرة قبل الرسالة
وبعدها. وقد ساعدته على أن يعيش
حياته التى يحبها.. فقد كان يحب
التأمل والتفكير الطويل.

وكان يحب أن يتعبد فى الأيام ذوات العدد فى شهر
رمضان من كل عام.

وعندما نزل عليه جبريل عليه السلام فى غار حراء، حيث نزلت
أول آيات القرآن الكريم:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
 اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
 يَعْلَمُ ﴿٥﴾ [العلق : ١ - ٥].

عرف النبي أن عهداً جديداً قد بدأ فى حياته . . وأن هناك
 حدثاً ضخماً قد حدث . . وأن عليه فى مستقبل الأيام حملاً
 هائلاً سوف يتحمله .

ولم يكن هذا الحدث سهلاً ولا يسيراً .

إنه يتلقى الوحي من السماء .

وإنه قد عرف جبريل عليه السلام الذى ضمه إليه ، وهو يأمره
 بقراءة ما نزل عليه من آيات الذكر الحكيم .

ولم يكن النبي يقرأ ولا يكتب .

ولكن كان هذا إيذاناً بأهمية العلم فى الحياة . .
 وأهمية المعرفة . .

ورجع الرسول إلى بيته يرتجف وهو يردد :

«زملونى .. زملونى» .

وعندما ذهب عنه الإحساس بالخوف ، وأم المؤمنين
 خديجة تحاول أن تزيل عنه الروع سمعته يقول : «خشيت
 على نفسى» .

قالت له السيدة خديجة :

- «كلا.. والله لا يخزيك أبداً.. إنك لتصل الرحم،
وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب
المعدوم، وتعين على نوائب الدهر».

ولم تتركه مع مخاوفه بعد أن شاهد ما شاهد، لقد أخذته
إلى ابن عمها ورقة بن نوفل.. الذى كان من الحنفاء.. فلم
يعبد ما كان يعبد قومه من الأصنام.. ولكنه كان مؤمناً
بالله، قارئاً للتوراة والإنجيل.. واثقاً من البشارات التى جاءت
بها عن النبى الخاتم.

وما كاد ورقة يسمع من الرسول ما سمع، عما حدث له
فى غار حراء.. حتى تهلل وجهه.. فهذه البشارات التى قرأ
عنها سوف تتحقق.. وأن محمداً هو النبى الخاتم.. قال
له ورقة:

هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى، ياليتنى أكون
حيّاً إذ يخرجك قومك.

قال الرسول ﷺ متعجباً:

- أخرجى هم؟

قال ورقة:

- نعم . . لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك هذا أنصرك نصرًا مؤزرًا .

ولكن ورقة مات بعد ذلك بقليل ، ولم يدرك الرسول عندما حاول قومه قتله ، وأراد له الله أن يهاجر من مكة إلى يثرب .

انقطع الوحي فترة ، حتى اشتاق الرسول إلى رؤياه . . فلم يعد خائفًا من لقاء جبريل . . بل كان مشتاقًا إلى أن يرى هذا الملاك الكريم . .

وحزن حزنًا شديدًا لانقطاع الوحي ، إلى أن عاوده الوحي وقد جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله :

سمعت رسول ﷺ يقول :

«بينما أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء .. قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجبننت منه فرقًا حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلى فقلت : زملونى .. زملونى .. فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ [المدثر : ١ - ٥] .

وتتابع الوحي .

وبدأت الدعوة . . وكانت سرية في أول أمرها .

وكان أول من آمن بها من أصدقائه أبو بكر الصديق ،
وكان أول من آمن بها من الصبيان على بن أبي طالب ، كما
آمن به زيد بن حارثة . . وكان عبد خديجة ثم وهبته للرسول .

وزيد هذا كان قد فقد والده ، ولما علم فيما بعد أنه بمكة
ذهب إليها ، وخير ابنه أن يعود معه ، أو أن يظل مع الرسول ،
فآثر زيد أن يظل مع الرسول . . حتى إن والده قال له :

- يا زيد تختار العبودية على أبيك وأمك !

فقال زيد :

- إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ، وما أنا بالذي
يفارقه أبداً . . .

ومن هنا أحبه رسول الله ، وأعلن الملائمة من قریش :
- اشهدوا أن هذا ابني وارثاً وموروثاً !

وقد ظل كذلك إلى أن نهى الإسلام عن التبني عندما نزل
قوله تعالى : ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٥] .

وبدأت الدعوة تشق طريقها إلى القلوب والعقول ..

وبدأ رد الفعل العنيف من جانب مكة نحو المسلمين ..
وزاد من تعذيبهم للأرقاء والضعفاء .. حتى اضطر البعض إلى
الهجرة إلى الحبشة .

ثم بلغ طغيان مكة أقصى مداه .. عندما فرضت حصاراً
غاشماً على بنى هاشم والمسلمين .. لا يتعاون منهم، ولا
يتزوجون .. وحاصروهم في شعب من شعاب مكة!

وقد لبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنوات إلى أن ثابت
مكة إلى رشدها .. وانتهى أمر هذه القطيعة الظالمة، ولكن
الرسول ظل يدعو إلى الإسلام .. غير عابئ بمشركى مكة .

وفي ظل هذه المحنة القاسية ظلت خديجة صابرة مع
زوجها لا يلين لها قناة ..

وكذلك كان عمه أبو طالب .

ولم تلبث أن ماتت أم المؤمنين خديجة .. وبعدها بأيام ..
وقيل خمسة وثلاثين ليلة مات أبو طالب .. وكان ذلك كما
يقول ابن كثير قبل الهجرة بثلاث سنوات وسمى العام الذي
فقد فيه النبي زوجته خديجة وعمه أبو طالب بعام الحزن .
وقد ظل الرسول يذكر زوجته خديجة طوال حياته ..

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت :

كان النبی ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الشاء فغرت يوماً فقلت :

- ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين ، قد أبدلك الله خيراً منها .

قال : « ما أبدلنى خيراً منها ، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس ، واستننى بمالها ، إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها ، إذ حرمنى أولاد النساء » .

* * *

وقد اختلف الرواة فى أيهما مات قبل الآخر أبى طالب أو خديجة .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة :

« وقد مات أبو طالب قبل خديجة على أصح الروايات .

وقيل كانت وفاته قبلها بثلاث ليال .

ويذكر بعض الرواة أن وفاتها كانت قبل وفاته بنحو من خمس وثلاثين ليلة .

وأن الراجح أن وفاته كانت قبل وفاتها .

ومهما يكن الأمر فى المقدم والمؤخر، فإن وفاتهما أورثت
حزنًا شديدًا للنبي ﷺ.

وكان هذا الذى سماه الرسول عام الحزن قبل هجرته إلى
مكة بثلاث سنوات.

ولمكانة السيدة خديجة عند ربها، فقد بشرت ببيت فى
الجنة من قصب:

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة قال:

«أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله..
هذه خديجة قد أتت بإناء فيه إدام - أو طعام أو شراب - فإذا
هى أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى
الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب».

النصب هو اللؤلؤ.

* * *

لم ينس الرسول قط هذا الزواج السعيد من السيدة
خديجة.. وقد امتد هذا الزواج.. وكانت نعم الزوجة
الصالحة للنبي الخاتم ﷺ.. لقد تزوجها فى ريعان شبابه إلى
أن تجاوز سن الشباب.. وكانت هى الزوجة الوحيدة له فلما

انتقلت إلى جوار ربها أحس بالحزن الشديد ورأت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن تعرض على النبي من تونس وحدته وتكون له سنداً، وعرضت عليه أن يتزوج.

وسألها: من؟

قالت: إن شئت بكرةً، وإن شئت ثيباً.

فسألها عن البكر فقالت: عائشة بنت أحب خلق الله إليك.

وسألها عن الثيب فذكرت (سودة بنت زمعة).

ولاقى هذا الاقتراح صدى طيباً عند الرسول.

وذهبت خولة بنت حكيم إلى أم رومان زوجة الصديق وأم عائشة.

قالت: ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟!

قالت أم رومان: وما ذاك؟

قالت خولة: أرسلني رسول الله أخطب عليه عائشة.

وكان من الطبيعي أن تنتظر الصديق لتعرض عليه الأمر..

كان الصديق يرى أن محمداً أخاه.. ومن هنا برز في ذهنه تساؤل:

- وهل تصلح له وهى بنت أخيه؟

ولما سألت الرسول قال لها:

- قولى له: أنت أخى فى الإسلام وابنتك تحل لى.

وتقول الروايات أن عائشة كانت مخطوبة لجبير بن مطعم ابن عدى.. وكان لا يزال على الشرك.. وأن أبا بكر توجه إلى مطعم وزوجته حتى يعرف رأيهما.. وهل ما زالا عند وعدهما بأن تتزوج عائشة من جبير؟

إلا أن الأم قالت له إنها تخشى من هذا الزواج، حتى لا يكون هذا الزواج سبباً فى أن يصبأ ابنهما.. ووافقها الأب على ذلك.. ومن هنا فقد تحرر أبو بكر من هذا العهد.. وأنه أبرأ ذمته.

وتمت خطبة النبى ﷺ إلى عائشة وكان ذلك فى شوال سنة عشر من الدعوة.

أى قبل الهجرة بثلاث سنوات.. وقدم لها النبى ﷺ صداقاً (أربعمائة درهم) كما تقول معظم الروايات.

* * *

ومرت ثلاث سنوات حدث فيها الكثير من الأحداث.

إلى أن أوحى الله إلى الرسول بالهجرة إلى يثرب، بعد

أن تأمرت قريش على قتل رسول الله، وكان النبي عقب عودته من الطائف.. كان يعرض نفسه على القبائل لعلها تؤمن بالإسلام.. وحدث أن بايع نفر من أهل يثرب الرسول في بيعة العقبة الأولى.

ثم بايعه عدد منهم (٧٣ رجلاً وامرأتان) في بيعة العقبة الكبرى.. وكان الإسلام قد انتشر في يثرب بفضل أول سفير للإسلام بها وهو مصعب بن عمير. وكان النبي قد رأى في منامه، وقال لأصحابه:

«أريت دار هجرتكم.. أريت سَبَخَةً ذات نخيل بين لابتين. ولو

كانت السَّراة أرضاً ذات نخل وسباخ لقلت: هي هي».

.. وعندما عُرِف انتشار الإسلام في يثرب، فرح الرسول وعرف أن رؤياه قد تحققت وأنه آن الأوان لأن يهاجر من مكة التي يتآمر عليه أهلها من المشركين، وأن عدد المسلمين لم يزد عن بضع مئات رغم طول دعوته إلى الإسلام في مكة.

وفي بيعة العقبة الكبرى قال الرسول لهم:

- تبايعونني على السمع والطاعة في النشاط (الحرب)

والكسل (السلم) والنفقة في العسر واليسر. وعلى الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافوا

لومة لائم. وعلى أن تتصرونى، فتمنعونى إذا قدمت عليكم
بما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم ولكم الجنة
إن وفيتم».

وقال البراء :

- نعم ، والذى بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أعراضنا
وأحسابنا. فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء
الحرب، ورفقاء السلاح ، ورثناها كابراً عن كابر .

وقال لهم الرسول :

« أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم
بما فيهم كفلاء ».

فأخرجوا له تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس فقال
لهم ﷺ :

«أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن
مريم .. وأنا كفيل على قومى».

قالوا: نعم .

فلما بايعوه قالوا له: يا رسول الله ، ما لنا بذلك ، إن
نحن وفينا .

قال: « لكم الجنة إن شاء الله » [مسند أحمد].

* * *

وهاجر النبي إلى المدينة بعد أن أمر أصحابه بالهجرة حيث
استقبل استقبالاً حافلاً من أهلها . . وعندما نزل قباء بنى
مسجد قباء وبعد أربعة أيام توجه إلى المدينة . . حيث تكالب
الناس على راحلة رسول الله . الكل يريد أن يكون النبي ضيفاً
لديه . ولكنه كان يقول لهم:

- دعوها.. (أى الراحلة) فهي مأمورة.

وبركت الناقة عند دار أبى أيوب الأنصارى . . وكان ذلك
فى الثانى عشر من ربيع الأول.

وكان أبو أيوب أسعد الناس بتلك الضيافة . . ونزل
الرسول فى الطابق الأول من هذا المنزل، بينما سكن فى
الطابق الثانى أبو أيوب وعندما نزل ﷺ من فوق ناقته متجهاً
إلى مسكنه . . نزل وهو يقول:

﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

وكانت المدينة تضم قبيلتى الأوس والخزرج واليهود
وبعض الذين لم يسلموا بعد من هاتين القبيلتين، وكان لا بد

أن ينظم الرسول هذا المجتمع الجديد.. فأخي بين المهاجرين والأنصار، وظهرت صحيفة المدينة التى أمن الرسول فيها اليهود على أموالهم وممتلكاتهم وحرية ممارستهم العبادة على دينهم، كما وضح فى هذه الصحيفة حسن الجوار بين اليهود والمسلمين، على ألا يغدروا بالمسلمين، ولا يساعدوا أعداءهم..

وأصبحت المدينة دولة لها دستورها، وأصبح الرسول يجمع بين السلطين الروحية والسياسية.

ولكن اليهود كعادتهم دائماً.. لم يحافظوا على ما تعاهدوا عليه مما اضطر النبى إلى محاربتهم بعد ذلك.

* * *

وفى ظل هذا المجتمع الجديد.. كان لا بد من بناء مسجد يجتمع فيه المسلمون للصلاة ولتدبير أمور حياتهم فى الحرب والسلم.

وبنى المسجد بسواعد المسلمين من المهاجرين والأنصار وكان النبى يعمل معهم فى البناء.. وجعلوا محراب المسجد نحو الشمال (تجاه بيت المقدس).. وفتحوا فيه ثلاثة أبواب.. أحدهما ينفذ إلى الحجرتين اللتين بناهما الرسول لزوجتيه عائشة، وسودة.

وكانت هذه الحجرات من اللَّبَنِ وعلى أبوابها
المسوح (الجلود).

وكانت الحجرة التى أعدها لعائشة فى غاية التواضع
بحيث يستطيع الواقف فيها أن يلمس بيده السقف . . وفى
داخلها جَرَّةٌ للماء، وطست من الفخار، وسرير عبارة عن
خشبتيْن مشدودتيْن بحبال، وفوقه قطعة من القטיפه القديمه،
أما الوساده فمن الليف!

هذا هو كل أثاث بيت رسول الله!!

* * *

أما المسجد فقد بنى على مساحة تبلغ خمسة وثلاثين
ذراعاً طولاً، وثلاثين ذراعاً عرضاً، وقد قام بتوسعته الرسول
مرة أخرى عندما زاد عدد المسلمين وأقبل إلى المدينة من هاجر
من المسلمين إلى الحبشة فأصبح خمسين ذراعاً طولاً وخمسين
ذراعاً عرضاً، هذا المسجد الذى اتسع مع كل عصر من
العصور الإسلامية منذ عثمان رضي الله عنه إلى أن أصبح ما هو عليه
الآن من اتساع يستطيع استيعاب المسلمين الذين يأتون لزيارة
قبر نبيهم ومسجده من مختلف بقاع العالم الإسلامى .
وانتقل الرسول إلى بيته بجوار مسجده عندما بنى بعائشة .

وتقول عائشة عن قصة زواجها بالرسول ﷺ:

لما جئنا المدينة أنزلنا أبى فى بيت رجل من الأنصار، فأقمنا فيه أشهراً. وبينما كنت فى يوم ألعب مع بنات الأنصار إذ أقبل الرسول ﷺ على بيتنا وحوله رجال من المهاجرين والأنصار، فخرجت أُمى تطلبنى وقادتنى إلى البيت، وأنا أتصبب عرقاً من اللعب، فمسحت وجهى بالماء، وألبستنى ثوباً نظيفاً، وأخذتنى إلى رسول الله ﷺ وقالت:

- هذه عروسك يا رسول الله. فبارك الله لك فيها وبارك لها فيك.

وأخذ أصحابه يباركون ويهتفون، وأصبحت من هذا اليوم زوجة رسول الله ﷺ.

ونقلنى الرسول إلى بيته الذى فى جوار المسجد، وكان النبى ﷺ رفيقاً بى، فقد كنت حديثه السن.. محبة للعب، يدخل على البنات فى بيتنا فألعب معهن.

ويرانا الرسول فيقول: ما هذا؟

فنقول له: نلعب خيل سليمان فيضحك.

وكان يدخل على فيرانى مع صواحبى، فتتحرك له البنات تريد الخروج فيقول لهن:

- مكانكن. ويستبقيهن عندي، ويخرج الرسول دون أن يقطع علينا لهونا. وكان أحياناً يأتي بصواحي يلعبن معي.. يريد أن يسرنى بذلك.

وكان ﷺ أوسع صدرًا من والدي، فلقد دخل علينا أبو بكر في يوم الأضحى، وعندي جاريتان تضربان بالدفِّ فانتهرهما أبو بكر.

وقال: أتعملان هذا في بيت رسول الله؟

فقال له الرسول: «دعهم يا أبا بكر.. إن لكل قوم عيداً، وإن عيدنا هذا اليوم».

وكان يحب أن أشاهد اللهو من وراء حجاب، فقد لعب بعض الحبشة بالحرايب أمام بيتنا، فرأيت الرسول ﷺ يقوم على البيت يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم من بين كتفيه وأذنه، وظل واقفاً يسترني حتى انصرفت من نفسي.

وتابع ما ورد على لسان عائشة رضي الله عنها، كما رواه الأستاذ أحمد التاجي في كتابه (سيرة النبي العربي).. نقلاً عن الإمام البخاري:

تقول عائشة رضي الله عنها:

وكان رفيقاً بي غاية الرفق، يعاملني كابنته، فكان إذا

دخل على فوجدني نائمة مشى على أطراف أصابعه حتى
لا يقطع على نومي .

وكنت أغضب عنده وأرضى ، فيتحملني في
رضاي وغضبي .

قال لى يوماً : يا عائشة ما يخفى على حين تغضبين
وحين ترضين .

قلت : بماذا تعرف يا رسول الله؟

قال : أما حين ترضين عني ، فإذا حلفت قلت : لا
ورب محمد!

وأما حين تغضبين مني تقولين : لا ورب إبراهيم!

قلت : صدقت وإنى والله لا أعدو سوى اسمك .

أى أن حبك يملأ نفسى فى الحالىن ، ولكنى فى الغضب
أتجاوز اسمك .

ورفعت مرة صوتى فوق صوته فى حديث ، وسمعنى أبو
بكر ، وهو قادم علينا فغضب ، وهم أن يبطش بى وهو يقول :
أترفعين صوتك فوق صوت رسول الله ! فمنعه الرسول أن
يؤذيني ، فلما خرج أبو بكر قال لى الرسول مازحاً وهو يريد
أن يسترضىنى : ألا تعلمين أننى منعت والدك وكان يريد أذاك؟

ودخل والدى بعدها فوجدنا نضحك فقال: أشركانى فى سروركما كما أشركتمانى فى غضبكما.

قالت عائشة: ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرةً غيرى، وقد تزوجنى بأمر السماء.. فقد رأى فى المنام شخصاً يحمل إليه قطعة من الحرير، وقد نقش فيها صورة، فلما كشف الرسول عنها وجدها صورتى فتعجب من ذلك. فسأل: من هذه؟

فقال له: هذه امرأتك! فازداد عجباً وتكرر له هذا مرة أخرى.

* * *

فقد حدثنى رسول الله ﷺ بذلك، فقال: رأيتك فى المنام مرتين، أرى رجلاً يحملك فى خرقة من حرير.

فيقول: هذه امرأتك. فأكشف عنها فإذا هى أنت! فأقول: إن يكن هذا من عند الله ينفذه.

* * *

ثم حدث أن جاءت إلى بيته امرأة مسلمة بعد وفاة خديجة.. وقالت له: يا رسول الله، كأنى أراك قد دخلتكَ الأحران لفقد خديجة أأخطب لك؟ ثم ذكرتني له فعجب

الرسول ﷺ من قولها إذ وافق ذلك ما رآه فى منامه . .

فكان أن خطبنى من أبى وأنا فى مكة، وتزوجنى بعد ذلك فى أول أعوام الهجرة.

* * *

وقد نقلنى رسول الله ﷺ بالزواج منه إلى عالم آخر لم أكن أهتدى إليه بدونه، وعشت معه الحياة التى يرسمها له ربه، حياة النبوة والزهد فى متاع الدنيا، والرغبة فى الآخرة، وتذكر الله فى كل قول وعمل.

فقد علمنى أن الدنيا مزرعة للآخرة . . فلا طلعت علينا شمس يوم لا نتقرب فيه إلى الله ببعض الطاعات، فلم نعد نرى الدنيا دائماً متاعاً وزينة، وإنما نراها قنطرة تُبلغنا إلى الله.

* * *

فأقمت مع رسول الله ﷺ فى حجرة ضيقة مبنية باللبن، تمس اليد سقفها، وليس فيها من الأثاث سوى حصير مفروش على الأرض، وسرير مشدود بالحبال، وأوان من فخار تحفظ طعامنا وشرابنا. ولكن لم أشعر بضيق المكان، لأن رسول الله ﷺ قد وسَّعَ قلوبنا وعقولنا، فجعلها تتطلع على رحاب السموات والأرض، وتنقل فى ملكوت اله العظيم، فلا

يشعر الإنسان بزمانه ولا بمكانه، وإنما يشعر أنه من ملك الله الكبير، وأن عليه أن يطيع صاحب الأمر ويفنى في عبادته، فتتسلخ نفسه شيئاً فشيئاً من الأرضية، وتسبح في العلوية، فإذا حدث له ذلك هانت عليه الدنيا وما فيها، ورضى من الحياة بأقل متاع، وطمع فيما عند ربه من جزاء وثواب.

* * *

وتقول السيدة عائشة أيضاً:

فكان خبزنا الشعير أطحنه بيدي في الرّحى، وطعامنا التمر والماء. وقد تيسر لنا اللبن بعد حين.

ولقد كان يمر الشهر والشهران والثلاثة ولا يوقد في البيت نار لخبز أو طعام.

ولم يمتلئ جوف رسول الله ﷺ شبعاً قط، ولا عرفنا الشبع من التمر إلا بعد فتح خيبر.

ولم يشك رسول الله ﷺ إلى أحد حاجة، وكان الفقير أحب إليه من الغنى، وكان يظل نهاره جائعاً، ويبيت ليله كذلك، ولا يمنعه هذا من صيام غيره متى طلع النهار.

ولقد بكيت مراراً من الشفقة عليه، إذ كنت أراه يربط على بطنه الحجر والحجرين ليسكن ما به. فكنت أمسح بطنه

بيدى وأقول له :نفسى فداك يا رسول الله لو أخذت من الطعام ما يقويك على الصيام؟!!

فكان يقول :

«يا عائشة مالى وللدنيا ، لقد سبقنى أولو العزم من الرسل، وصبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم، وقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم وأحسن ثوابهم. وإنى أخاف إن ترفهت فى معيشتى أن يُقصرَّ بى غدا عنهم وليس أحب إلىَّ من ألحق بإخوانى وأخلائى».

* * *

وما أكثر ما رواه الإمام البخارى من الأحاديث عن عائشة رضى الله عنها .

كانت بالغة الذكاء . وكانت شديدة الحفظ .

وكانت أثيرة عند الرسول ﷺ . . . لأنها كان لها دور بارز فى تعليم النساء تعاليم الدين . . فقد طلبت النساء من الرسول ﷺ أن يكون لهن مجلساً ، ولقيهن الرسول فى بيته أو فى أحد بيوت أصحابه كما يروى الإمام البخارى ، يعظهن ويعرفهن أمور الدين ، وكانت السيدة عائشة تلتقط كل ما يقوله الرسول ، وكانت تشرح ذلك للمسلمات . . وكان

الرسول ﷺ يسمع لها، ويلتمس لها العذر عندما تغار من نساءه . .

فقد ورد عن عائشة قولها: دخل النبي ﷺ علىَّ يوماً فقلت له:

- أين كنت اليوم؟

قال: كنت عند أم سلمة.

قلت: ما تشبع من أم سلمة؟

فتبسم ﷺ لغيرتي منها، ثم قلت:

- يا رسول الله . . ألا تخبرني عنك لو نزلت بعدوتين (جانبا من الوادي) إحداهما لم ترع، والأخرى قد رعيت، أيهما كنت ترعى؟

قال: التي لم تُرع.

قلت: فأنا لست كإحدى نسائك. كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل، غيري.
فتبسم النبي ﷺ لقولها.

* * *

وكانت عائشة تستفسر من الرسول عن كثير من أمور الفقه حتى يمكنها أن تفسر هذه الأمور للنساء .

وكم صححت السيدة عائشة من أحاديث، وأوردت الحديث كاملاً صحيحاً كما ورد عن رسول الله . .

. . فقد سمعت مثلاً أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » .

فقالت عائشة :

رحم الله عمر . والله ما حدث رسول الله ﷺ أن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ، ولكن رسول الله ﷺ قال :
« إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه » .

وقالت حسبكم القرآن : ولا تزرر وزر أخرى .

وما أكثر الأحاديث التي روتها السيدة عائشة ، وما أكثر ما صححت من بعض الأحاديث التي رويت منقوصة ، كما روت أحاديث كثيرة عن كيفية صلاة النبي وتهجده وصيامه وقيامه ، وكيف كانت سلوكياته مع زوجاته .

فكانت التلميذة البالغة الذكاء في مدرسة الرسول ، التي استفاد من فقهها الناس ، وخاصة النساء عندما كن يسألنها عن بعض الأمور التي تخص المرأة .

منها مثلاً كما يروى فى الصحيحين (البخارى ومسلم)
عن عائشة رضى الله عنها:

أن امرأة سألت النبى ﷺ عن كيفية طهارتها من الحيض،
فعلمها كيف تتطهر وقال لها:

خذى فرصة (قطعة) من مسك فتطهرى بها.

قالت: كيف أتطهر بها؟

قال: سبحان الله تطهرى.

فاجتذبتها عائشة إليها وقالت:

تتبعى بها أثر الدم فى قطعة من الصوف.

.. و.. ما أكثر ما يرويه الفقهاء عن دور السيدة عائشة
فى تثقيف النساء فى أمور الدين.

* * *